ليس

"أَنْ نَرَى"

بحد ذاته باعثٌ

على الإيقان والإيمان

"طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوا" (يوحنا ٢٠: ٢٤-٣١).

"لِكَيْ يُبْصِرُوا مُبْصِرِينَ وَلاَ يَنْظُرُوا،
وَيَسْمَعُوا سَامِعِينَ وَلاَ يَفْهَمُوا،
لِئَلاَّ يَرْجِعُوا (بالإيمان بيسوع) فَتُغْفَرَ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ" (مرقص ٤:١٢)

"وَأَمَّا الإِيمَانُ فَهُوَ الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى...
بِالإِيمَانِ نَفْهَمُ أَنَّ الْعَالَمِينَ أُتْقِنَتْ بِكَلِمَةِ اللهِ،
حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يُرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ" (عبرانيين ١١:١)

يتلخص صلب وجوهر رسالة الله ويسوع في جملة واحدة: **الإيمان والرجاء والمحبة من خلال الصليب**. **"الله محبة"** وكل امرٍ مخالفٍ للمحبة هو تعدّي بغيض ويناقض **طبيعة الله**. انه من السهل وعظ الهلاك بدل الخلاص كي يدفعنا الى الذهاب الى الكنيسة خوفاً او لاعتبارات اجتماعية محضة، كشبه شخص فقد ارادته واصبح مُسيَّرا. تبقى الحقيقة اننا نذهب الى الكنيسة، نستمع الى وعظة بعد وعظة ونغادرها فارغين روحيا كما دخلناها، معها يبقى إيماننا ضعيفا مُترددا خاليا من اي تقوةٍ وعملٍ صالح، كمثل توما الرسول الذي عاش بقرب يسوع وسمع كل اقواله ولكن لم يفهمها. عندما نذهب الى بيت الله، يبدو اننا ننسى ان **"يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ (عينه) أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ"** (عبرانيين ١٣:٨). وعليه يتأرجح ويتململ البشر محاولين ان يوازنوا بين المرئي وغير المرئي وبين ما هو طبيعي ملموس وما هو غامض فوق الطبيعي، لكسلنا ان نفتح كتاب الله ونقرأ رسائل حبه، من ما حثّ يسوع ليقول لنا:

"إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمُ الأَرْضِيَّاتِ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمُ السَّمَاوِيَّاتِ؟"

موضحاً لنا سبب تصرفنا: **"لاَ تَفْهَمُونَ كَلاَمِي، لأَنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي"** (يوحنا ٣:١٢؛ ٨:٤٣).

هل تسألت مراراً إذا كنت تؤمن، وكان جوابك بالايجاب، هل تسألت أيضاً ما هو (الشخص او الشيء) الذي تؤمن به؟ عندما تلفحك نغنشات الحب، هل تدري ما سببها او انك وقعتَ في شراك **"الحب اعمى"** وانجرفت بتقليد ما يعمله الناس مثل ان تغمض عينيك وذهنك كي ترى فقط ما تريد رؤياه؟ بما ان الحب والإيمان سوية يكتنبا الى عكس القول الشائع **"تؤمن بعد ان تعاين"**، فعليه كي تختبر شيئا اعظم من نفسك وطاقتك في التحسس باصوات غير مسموعة، ورؤية اطياف غير مرئية وحلم احلام غريبة عجيبة، ما على الشخص سوى ان يؤمن اولاً بانها ممكنة الحصول، وبعد ان تحصل بدون سابق توقّع او تخطيط، عندها يستطيع المرء ان يرى. **إنّه لواقع ان من خلال ومع المحبة فقط**، بغياب التهديد والوعيد، ننال الإيمان بالله الغير مرئي وتكون لنا الحياة فيه. ما علينا الا ان نردّد مع النبي ايوب ونتمعن بما قاله القديس بولس:

"وَلكِنِّي قَدْ نَطَقْتُ بِمَا لَمْ أَفْهَمْ. بِعَجَائِبَ فَوْقِي لَمْ أَعْرِفْهَا.
اِسْمَعِ الآنَ وَأَنَا أَتَكَلَّمُ. أَسْأَلُكَ فَتُعَلِّمُنِي.
بِسَمْعِ الأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ، وَالآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي.
لِذلِكَ أَحتَقِرُ نَفْسِي وَأَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ"

"إِنْ الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ (بالسمع وليس بالعيان)، وَالْخَبَرُ (السمع) بِكَلِمَةِ اللهِ"
(ايوب ٤٢: ٣-٦؛ رومية ١٠:١٧).

هل تسألت مراراً من أنت ولماذا وُلدت وما هو دورك على الأرض؟ هل تسألت ان كنت فقط "واحدٌ بين كثيرين" او أنّك "مخلوق فريد وثمين"، فداك يسوع بدمه الغالي، لتؤدي دوراً ومهمة ذات طابع واهمية فريدة في الحياة؟ يقول الله:

"خلقتك كاملاً متكاملاً بكل اوجهك؛ منحتك محبتي الفائقة وزودّتك بكل ما تحتاج من عطايا كي تعيش حياة تقية مُنتجة ومُثمرة. مع كل نواقصك، يتجلى كماليَّ فيك اذا امنت بي. أنت فريد في خلقك حيث خُلقت بمحبة وبدقة متناهية كاملة؛ بُعد السماء آفاقك وفرصك وقدراتك، لا احد سواك يقدر ان يحدَّ من ما اعطيتك من هِباتٍ لتحدّد خلاصك ونجاحك وسلام قلبك وعقلك ولتنهل من الاكتفاء في انجازها بتقوةٍ وتنال السعادة المُرتجاة" (الكتاب المقدس باكمله).

اعتقد بان الفيلسوف ليو تولستوي قد القى بعض الضوءِ على كثير من اسئلتنا، وهذه مقتطفات من كتاباته:

"من أنا؟ هل انا جزءٌ من اللا متناهي (غير المرئي والأبدي)**؟ تكمن وبدون شك كل المعضلة في هذه الكلمات... والمُسبّب لكل شيء هو ما ندعوه الله. ان تعرف الله وتعيش هو الامر عينه. الله هو الحياة... الدين الحقيقي هو تلك العلاقة، بموجب التعقّل والمعرفة، التي يشيدها الأنسان مع العالم اللامتناهي حوله والتي تربط حياته لتلك اللامتناهية وتسدد خُطى افعاله... وتؤدي الى قوانين الشريعة العملية الفعلية: "افعل بالآخرين كما تودهم ان يفعلوا بك"** (متى ٧:١٢)... **كل المفاهيم التي نستعملها للمقارنة بين المتناهي واللا متناهي وكي نتوصل الى فهم الحياة وما هو مبدأ الله والحرية وكرم الاخلاق قد أُخضعت الى محك المنطق لكنها فشلت امام نقد العقل... يكمن جوهر اي معتقد فقط في الجواب على السؤال: لماذا أنا موجود وما علاقتي بالعالم اللا متناهي الذي يحيط بي؟... من المستحيل ان يكون هناك انسان بدون معتقد** (أي بدون اي نوع من العلاقة بالعالم) **لانه بذلك يشبه انسانا بدون قلب. من المُمكن أنّه لا يعرف بأنّ له معتقد كالذي لا يعلم بأنّ له قلب، ولكن ليس بعد مُمكناً ان يوجد الفرد بدون معتقد من ان يكون بدون قلب".**

"فَأنّي الحَقَّ اقُولُ لَكُم:
"إِنَّ أَنْبِيَاءَ وأَبْرَارَ كَثِيرِينَ اشْتَهَوْا أَنْ يَرَوْا مَا أَنْتُم تَرَوْنَ وَلَمْ يَرَوْا، وأَنْ يَسْمَعُوْا مَا أَنْتُم تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوْا...لأَنَّهُ إِنْ كَانَ أَحدٌ سَامِعاً لِلْكَلِمَةِ وَلَيْسَ عَامِلاً، فَذَلِك يَشْبِهُ رَجُلاً نَاظِراً (امْرَأَةً نَاظِرَةً) خِلْقَةَ وَجْهِهِ (وَجْهَهَا) فِي مِرْآةٍ" (متى ١٣:١٧؛ يعقوب ١:٢٣).

"بِهَذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الوَحِيدَ إِلَى العَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ..
لأَنَ المسيح قَالَ: "أَنْتُمْ نُورَ العَالَمِ" (١يوحنا ٤:٩+متى ٥:١٤).

"فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ، وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ... وَهَذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى العَالَمِ، وَلكِنْ أَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ شِرِّيرَةٌ" (يوحنا ١: ١-٥؛ ٣:١٩).

هل نقدر الصدح مع السَّامريِّين: **"وَقَالُوا لِلْمَرْأَةِ (مِن عَشِيرَتِهِمْ): "إِنَّنَا لَسْنَا بَعْدُ بِسَبَبِ كَلاَمِكِ نُؤْمِنُ، لأَنَّنَا نَحْنُ قَدْ سَمِعْنَا بِأَنْفُسِنَا وَنَعْلَمُ أَنَّ هَذَا هُوَ بِالحَقِيقَةِ المَسِيحُ مُخَلِّصُ العَالَمِ... كُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي أَمَامَ النَّاسِ اعْتَرِفُ أَنَا أَيْضاً بِهِ/بِهَا أمام أبي... أَنَا حَيٌّ، يَقُولُ الرَبُّ، "إِنَّهُ لِي سَتَجْثُو كُلُّ رُكْبَةٍ، وكُلُّ لِسَانٍ سَيَمْدَحُ اللهَ"** (يوحنا ٤:٤٢+متى ١٠:٣٢+رومية ١٤:١١).

وعليه

"اذا نطقنا بالكلام فلنفعل أفعاله"

بالمسيح القائم من بيّن الاموات... آمين